ثقافة الصورة
وآليات كشف خداع الجماهير
على مواقع التواصل الإجتماعي

تعتبر الصور المزيفة واستخدامها ضمن الأخبار المضللة أحد أهم ملامح الخطاب الإعلامى والثقافي على مواقع التواصل الاجتماعي والوسائط الإلكترونية، وربما يعود ذلك لأن الإنترنت هو بيئة مفتوحة وغير محكومة بضوابط أخلاقية فيستغل البعض ذلك في النفاذ إلى الجماهير الإلكترونية العريضة ومن ثم إثارة الغرائز وتشجيع الخلافات بين الأفراد والجماعات ومحاولة هدم المجتمعات والدول سواء كان ذلك موجهًا بدافع شخصي أو رغبة مجموعة معادية.

وقد صدرت مئات الأبحاث والدراسات العديدة وعقدت عشرات اللقاءات والمؤتمرات والندوات والمناقشات وصدرت قرارات عديدة من جهات رسمية ومناشدات من جهات غير رسمية ومنظمات وجمعيات ومراكز بحثية من أجل معرفة كيفية مواجهة تلك الظاهرة التى تهدد الجميع.

غير أن معظم تلك الجهود ركزت فى أغلبها على الجوانب التقنية والتطبيقية فى الموضوع، أو على الجوانب النفسية أو الاجتماعية في وضع حلول سهلة للأنشطة الإلكترونية لمستخدمى مواقع التواصل الاجتماعي؛ ولم ينتبه كثيرون إلى بعد مهم وغائب دومًا وهو الجانب الثقافي وخاصة أن أحد أهم مصادر انتشار الأخبار الكاذبة تتم عن طريق استخدام الصورة التي هي أحد المنتجات الثقافية على مدار التاريخ البشرى.

الباحثون في مجال الشبكات والاتصالات ذكروا أن مجموع المعرفة البشرية قديمًا كان يتضاعف كل قرنين على الأقل، كما تضاعف بين عامي ١٧٥٠-١٩٠٠ ثم تضاعف مرة ثانية بين عامي ١٩٠٠-١٩٥٠ ثم تضاعف بين عامي ١٩٥٠-١٩٦٠ ثم تضاعف بين عامي ١٩٦٠-١٩٦٥، وحاليا كل شهرين تقريبًا، ومستقبليًا كل بضع ساعات لا أكثر. ولكن لم يسأل معظم هؤلاء الباحثين أنفسهم عن أن جانبًا كبيرًا من تلك المعرفة التى يتم نقلها من جيل إلى جيل ربما تحتوي على قليل الصدق وكثير من الكذب والخداع؟!!!.

ولعلنا نتذكر ما قاله أحد كبار الباحثين المهتمين بالقضية من أن عصرنا يمجد الصورة مقابل المحتوى، والشكل بدل المضمون، والمظهر

عوض المخبر، والمبنى محل المعنى، والظاهر مكان الباطن، والسطح بدل العمق.

ولا يمكن نفي القصدية كأحد أهم الأسباب فى نشر الأخبار الكاذبة، ولعل ذلك يذكرنا بما قاله الفيلسوف الاجتماعى الشهير جان جاك روسو "أن تكذب لمصلحة نفسك، فهذا مستحيل، وأن تكذب لمصلحة الغير، فهذا تدليس، وأن تكذب قصد إلحاق الأذى بالغير، فهذا افتراء، وهذا هو أسوأ أصناف الكذب".

وقد أشار موقع First Draft News - يعتبر أحد أهم المواقع التى تسعى لتقصي وكشف الحقائق – إلى أنه يمكن اكتشاف سبعة مصادر للخبر الكاذب، وهي السخرية وانتحال الشخصيات والربط الخاطئ والمضمون الخاطئ والمضمون المضلل والتلاعب بالألفاظ والصور والتلفيق.

وترتبط الأخبار والصور المزيفة أيضًا بالإشاعات الإلكترونية، وهناك أنواع عديدة للإشاعة الإلكترونية فمنها إشاعة الخوف والذعر ومنها إشاعة لسعي لنشر عقيدة معينة ومنها إشاعة الاستطلاع التي تسعى لرصد التأثرات والردود وأشهرها إشاعة التضليل لأنها ترتبط بنفسيات ودوافع فردية وجماعية متنوعة.

ويعد تركيب الصور أحد أبرز الحيل التقنية للخداع وهي عملية تقنية تقوم بتعديل في الصور باستخدام برامج تحرير الصور وأشهرها برنامج فوتوشوب، والغرض منها إبراز أو إخفاء أو تغيير ملامح معينة في الصورة وتوصيل رسالة أو فكرة محددة.

وباستخدام المنهج الثقافى الذي نعتقد أنه الأجدر بحل تلك الإشكالية يمكن وضع مجموعة معايير لكشف كذب الأخبار المضللة

التى تنتشر عن طريق الصور، أولاً من خلال ملاحظة التفاصيل الموجودة فى الخبر وهل هي ملائمة للقصة التى يتم الترويج لها أم لا، وثانيًا من خلال بيان الترابط بين أجزاء القصة الخبرية وتناسقها وجديتها، وثالثًا من خلال الانتباه إلى لغة الجسد وطبيعة الحوار ومدى مناسبته، ورابعًا من خلال الخلفية ومكان الأحداث ومدى ملاءمته، وخامسًا هو الأهم الثقة بالحدس وإعمال التفكير الناقد القائم على كشف التلاعب بالعقول.

تظهر أهمية قراءة الصورة إذا تذكرنا ما جاء في المثل الصيني: (الصورة تساوي ألف كلمة)، فقراءة الصورة قد توصل لك رسائل عديدة وقد تنقلك إلى مكان الحدث والصراعات، وتعد بمثابة تسجيل وكادر فيلمي قصير يمكن فيه تلمس ملامح ماضي بعيد أو حاضر مليء بالوقائع أو قد ترسم ملامح خيالية لمستقبل قادم مترقب.

إن صورة واحدة قد تستفز مجتمعًا بأكمله للقيام برد فعل قوي وربما تساعد على إشعال الأجواء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

الصورة قد تنطق بملايين الحروف وألوف الكلمات ومئات السطور وعشرات الصفحات وتكون بمثابة كتاب كامل متكامل الأفكار.

الصورة قد تنصف بريئًا وقد تدفع بمتهم إلى مصيره المحتوم في غياهب السجون، قد تساعد في كشف سر كبير وتظهر الحقيقة وقد تساعد في التعتيم والتضليل لصالح فرد أو جماعة ما.

الصورة هي وثيقة الماضي ومشهد الحاضر ومصير المستقبل.

وقراءة الصورة تساعد على تنمية القدرات الإبداعية والفكرية للأفراد من خلال اكتشاف العلاقات غير المرئية بالصور وربط الأفكار

والأشخاص والأماكن ببعضها البعض وتكوين الصور الذهنية المقابلة للصورة البصرية.

ونحن نحتاج إلى تعلم مهارات قراءة الصور وتفسيرها واستنتاج تأثيراتها ومن ثم الدلالات الجمالية والاجتماعية والنفسية والتربوية والسياسية على مسار الأفراد والمجتمعات والاستفادة منها في التنشئة الفكرية والاجتماعية والنفسية والسياسية والثقافية.

وتذكر دراسات عديدة تربوية ونفسية أهمية وضرورة تعويد النشء على قراءة الصورة للقضاء على الأمية البصرية لزيادة قدرته على الاتصال والتواصل مع الآخرين خلال المواقف والمشكلات المختلفة وفهم المتغيرات من حوله.

ثقافة الصورة هي بمثابة تطور طبيعي للثقافة البشرية والتي تفرض سنن الحياة والواقع والحاجة البشرية تطورها لتلائم وتواكب مجريات الحياة المعاصرة والسريعة والجديدة؛ فعصرنا هو عصر تكنولوجيا المعلومات الحديثة وأدوارها في مختلف مناحي الحياة، ورأيي إن كان يمكن تخصيص سمة العصر أكثر من ذلك لأطلقنا على العصر "عصر الصور الرقمية" الذي نتج عن التقدم في أدوات التصوير وما تبعها من إمكانيات في برامج تعديل وتحرير الصور وحفظها في صيغة رقمية على الكمبيوتر ومنها إلى الإنترنت، وقد أضافت تلك الصور أبعادًا عديدة في الرؤية والتفسير للظواهر المختلفة، ومن هنا تكمن العقبات والنتائج من التخلف عن ركب الحضارة والتقدم في المجال الشبكي للربط بين الأفراد والجماعات والمؤسسات على مستوى العالم، ففي هذه الحالة سنخرج من القطار السريع للمعرفة وعند العودة لن نجد مكاننا لأن هناك من ينتظرون أن تترك لهم هذا المكان.